الذات الاجتماعية وصراع الهوية في شبكات الواصل الاجتماعي

بقلم: أ. ريحانة بلوطي
جامعة محمد لمين دباغين سطيف2

ملخص:

تعتبر الهوية أحد المقومات الأساسية لتركيبة الفرد، من خلال جملة التراكمات التي يحصلها عبر حياته وتشكل ملامح شخصيته في إطار المجتمع الذي يعيش فيه، لذا فأن منطلقنا في هذه المداخلة يرتكز بالأساس على هوية الفرد في مواقع التواصل الاجتماعي بالتحديد الهوية الافتراضية وما ينجر عنها من صراع داخلي بين الأنا أو الذات الاجتماعية من جهة ومن جهة أخرى بين تحقيق اللذة أو الذات والصورة التي يعجز عنها الفرد أو لا يجدها في هويته الحقيقة باللجوء إلى ما أتاحته مواقع التواصل الاجتماعي له من بيانات متعددة وغير مرتبطة بالضرورة بواقعه الحقيقي في إطار ما يعرف بالعالم الافتراضي.

أولا- إشكالية الدراسة:

أتاحت تطبيقات الإعلام الجديد خلق فرصة لميلاد نوع جديد مغاير تماما للمجتمعات التي يولد الإنسان ويترعرع ويكتسب فيها مجموعة من العادات والتقاليد والقيم تراكمت عبر الزمن مشكلة شخصيته وهويته، وظهرت المجتمعات الافتراضية التي تختلف في سماتها وخصائصها عن المجتمعات الحقيقية، يتعامل فيها الفرد مع غيره من الأفراد الذين يقومون بوضع مجموعة من الخصائص والمقومات للتعريف بأنفسهم وتكون هذه الأخيرة مغايرة ولا تتطابق مع معلوماته الشخصية ، من اجل أن يعرف بنفسه عن طريق الهوية الافتراضية التي يستخدمها للتواصل مع الآخرين.

لقد ساهمت الإنترنت والتي تعد أحد منجزات الثورة الاتصالية في تشكيل فضاء جديد وهو الفضاء الرمزي الذي يعد إطارا جديدا لعلاقات اجتماعية عابرة للقوميات والأماكن، فالمتعارف عليه أن الجماعة الاجتماعية مجموعة من الأفراد يجمع بينهم قيم مشتركة وشعور بالانتماء يعيشون في بيئة جغرافية مكانية واحدة تحكمهم قيم وأعراف يجتمعون عليها ويتفقون فيما بينهم على وسائل الردع وقواعد الضبط الاجتماعي التي تحكم ما يحدث بينهم من علاقات، ولكن الإنترنت ساهمت في تشكيل علاقات تتجاوز الإطار الفيزيقي المكاني وتفاعل الوجه بالوجه وشكل مستخدموه هوياتهم المختلفة بخصائص وسمات مختلفة تماما في نقط كثيرة عن هوياتهم الحقيقية.

إن استخدام الهوية الافتراضية في التواصل بين الأفراد قد خلق تضاربا في أنماط الذات التي يتحلى بها كل واحد منهم بين الذات الاجتماعية والتي يراها به أفراد المجتمع والتي يمكن من خلالها بناء معالم الهوية الاجتماعية في المقابل فإن الاستخدام المتزايد لوسائل التواصل الاجتماعي أدى إلى تشكل ازدواجية في الهوية بل وحتى أكثر من ذلك من خلال خلق حسابات كثير على مواقع التواصل الاجتماعي وكل واحد منها يجسد هوية مختلفة عن الأخرى وينشد من خلالها الذات المثالية التي تكون بعيدة عن تصورات ما يعرفه عنا المجتمع وعن الملامح التي ترسمها الذات الاجتماعية لكل واحد منا.

من هنا فأننا نحاول معالجة هذا الموضوع من خلال التساؤل التالي :

ما هي ملامح الهوية الافتراضية؟ وكيف يكون تأثيرها على الذات الاجتماعية للفرد؟

ثانيا- مفهوم الذات:

يستعمل مصطلح الذات عادة ليشير إلى كيفية تفكير الفرد حول تقييم وإدراك ذاته إذ من أجل ان يكون الفرد واعيا بذاته فإنه يجب أن يكون مدركا لذاته جيدا . لذا يمكن تعريف مفهوم الذات وفقا لما زودنا به Baumeister من وصف دقيق بأنه معتقدات الفرد حول ذاته التي تتضمن صفاته الجسمية والنفسية والاجتماعية ووعي الفرد على ما هو عليه من صفات.

وبهذا الصدد توجع علماء النفس نحو معرفة كيف ينشأ مفهوم الذات لدى الأفراد وتعرف أنواعه ومكوناته ومن ضمن هؤلاء العلماء عالم النفس لويس الذي اقترح تطور مفهوم الذات من جانبين:

* الذات الوجودية : وهي عبارة عن إحساس الفرد الوجودي بأنه كائن منفصل ومتميز على الآخرين والوعي بالاتساق والثبات الذاتي، وهذا الوعي يبدأ منذ الطفولة وينشأ بوصفه جزءا من علاقة الطفل بعالمه الخارجي.

* الذات الفئوية: تختلف الذات الفئوية عن الذات الوجودية ، فبينما يدرك الطفل ذاته في الفئة الأولى فأنه بمرور الوقت يصبح واعيا بأنه ينتمي إلى فئة معينة.

وقد قسم عالم النفس كارول روجرز بأن مفهوم الذات له ثلاث مكونات مختلفة:

- وجهة نظر الفرد حول ذاته.
- تقدير الذات أو القيمة التي يضعها الفرد لذاته.
- الذات المثالية أو ما يتمناه الفرد.[1]

وحدد الباحثون أربع أنواع من الذات والتي اصطلح على تسميتها فيما بعد بمستويات الشخصية وهي على النحو التالي:

1- سول ماكلاود، **سيكولوجية مفهوم الذات، ترجمة علي عبد الرحيم صالح**، شبكة العلوم النفسية العربية ،
http://arabpsynet.com/Documents/DocAliSelfConceptPsy.pdf

أ- الذات الواقعية : وهي التي يدرك بها الفرد إمكانياته وقدرته ومكانته والأدوار المناط بها في العالم الخارجي، وهي تتضمن الاتجاهات الشعورية للفرد نحو نفسه وتتراوح هذه الاتجاهات بين قطبين أحدهما سالب وبتمثل في رفض الذات أو السخط عليها، والثاني موجب ناتج عن تقبل الذات والرضا عنها.

ب- الذات الاجتماعية: وهي الذات الخاصة كما نعتقد أن يراها الآخرون وقد لا تكون هذه الصورة مطابقة للواقع الذي يرانا به الآخرون فعلا. فإن لهذا المستوى تأثيرا مباشرا على سلوكنا والطريقة التي نجتهد بها لنثبت الهوية. وتقوم الذات الاجتماعية على حاجتين هما الحاجة للأمان والحاجة لاحترام الذات مرتبطتان بعلاقة جدلية فكلما زاد احترام الذات زاد الإحساس بالأمان وكلما ارتفع تقدير الشخص لذاته والعكس صحيح . لذلك تعتبر الذات الاجتماعية هي الهوية الفردية كما يراها الآخرون فينا وهي مجموعة اتجاهات الآخرين نحونا والتي تساهم في تكوين فكرتنا عن من نكون أي عن هويتنا.

ج- الذات الظاهرية: يفسر الفرد في الغالب القيمة الاجتماعية للذات بناء على خبراته الشخصية فهو يحول اتجاهات الآخرين نحو طبقا لمدركاته، وهذه الوظيفة هي التي تقوم بها الذات الظاهرية التي تعتبر وسيلة الفرد أو طريقته في إدارته لهويته ، وتنظم اتجاهاته نحو الآخرين. وتسمى الذات الظاهرية لأنها الوجه الوحيد من الهوية التي يدركها الشخص حقيقة .

د-الذات المثالية: وهي النموذج الذي يرغب الفرد او يأمل أن يكون عليه ، ويتوقف هذا النموذج على مستوى الطموحات ومع تناسبه مع قدرات الفرد والفرص المتاحة له لتحقيق ذلك.[1]

ثالثا- شبكات التواصل الاجتماعي:

لقد عرفت الشبكات الاجتماعية علي أنها " مجموعة من المواقع علي شبكة الإنترنت ظهرت مع الجيل الثاني للويب web 2 تتيح التواصل بين الأفراد في بنية مجتمع افتراضي يجمع

[1]- محمد العربي ولد خليفة، **المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2003، ص 45.

بين أفرادها اهتمام مشترك أو شبة انتماء (بلد – مدرسة – جامعة – شركة ...الخ) يتم التواصل بينهم من خلال الرسائل أو الاطلاع علي الملفات الشخصية ,ومعرفة أخبارهم ومعلوماتهم التي يتيحونها للعرض . وهي وسيلة فعالة للتواصل الاجتماعي بين الأفراد سواء كانوا أصدقاء نعرفهم في الواقع أو أصدقاء عرفتهم من خلال السياقات الافتراضية"[1]

وتعرف أيضا بأنها منظومة من الشبكات الإلكترونيّة التي تسمح للمشترك فيها بإنشاء موقع خاص به، و من ثم ربطه من خلال نظام اجتماعي إلكتروني مع أعضاء آخرين لديهم الاهتمامات والهوايات نفسها أو جمعه مع أصدقاء الجامعة أو الثانوية.[2]

وإجرائيا: الشبكات الاجتماعية على أنها نوع من الإعلام الجديد وتصنف ضمن مواقع الجيل الثاني للويب ويب 2.0 وهى شبكات اجتماعية تفاعلية فخاصيتها الأساسية بناؤها التفاعل حيث تتيح التواصل لمستخدميها في أي وقت يشاءون وفي أي مكان من العالم، وقد ظهرت كأحد تطبيقات شبكة الإنترنت منذ سنوات قليلة فغيرت في مفهوم التواصل والتقارب بين الشعوب، واكتسبت اسمها الاجتماعي كونها تعزز العلاقات بين البشر، وتعدت في الآونة الأخيرة وظيفتها الاجتماعية لتصبح وسيلة تعبيرية وخدمية، وتمكن الأصدقاء القدامى من الاتصال بعضهم البعض كما تعرفك بآخرين لم تكن تعرفهم من قبل ،إضافة إلى التواصل المرئي والصوتي وتبادل الصور وغيرها من الإمكانات التي توطد العلاقة الاجتماعية بينهم، ولعل أبرز شبكات التواصل الاجتماعي الفيس بوك، تويتر، واليوتيوب.

رابعا- مفهوم الهوية:

بقدر ما يبدو مفهوم الهوية للوهلة الأولى أنه بسيط وواضح، بقدر ما أنه معقد وغامض وعصي على الإمساك، لذلك وجب علينا توضيح رؤيتنا ماذا نقصد بمفهوم الهوية، في إطار محدد يبين من ناحية وضع الهوية ضمن تعدد الهويات الفائضة، التي برزت تحت

[3]- وليد رشاد زكي، **نظرية الشبكات الاجتماعية من الإيديولوجيا إلى الميثودولوجيا**، المركز العربي لأبحاث الفضاء الالكتروني، مارس 2012، ص3.

[4]- راضي زاهر، **استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في العالم العربي**، مجلة التربية، العدد 15، جامعة عمان الأهلية، عمان، ص23.

مسميات الهوية الدينية، الهوية الثقافية، الهوية القومية، الهوية المذهبية، الهوية العشائرية والطائفية، والتي أدت إلى مشكلات تتحدث عن ضياع الهوية.[1]

يشير لفظ الهوية إلى عدة مجالات من التفكير منها الفلسفة و الميتافيزيقيا، ثم المنطق، و إلى العلوم النفسية والاجتماعية .فمفهوم الهوية استعمل مصطلحا في المنطق و الفلسفة و في التصوف بالنسبة لتراثنا القديم، واستعملت في علم الاجتماع الحديث كما استعملت في الفلسفة الحديثة، وهنا نسجل ملاحظتين، الأولى تتجلى في أن فلاسفتنا القدماء اختاروا في التعبير عن اللفظ اللاتيني EDENTITAS لفظ الهوية، صاغوه من لفظ الضمير (هو) بزيادة ياء النسب و تاء المصدرية، وهذا الضمير يدل على الغائب، و يستعمل للربط بين الموضوع والمحمول في لغة المناطقة. فكأن الهوية المشتقة منه هي إثبات شيء غائب عن الحس، شاخص بمظاهره فقط، و هكذا تظل الهوية مجرد وجود اعتباري تشخصه آثار وأحداث وأفعال[2].

1- الهوية سوسيولوجيا:

يفسر معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية مفهوم الهوية عموما بوصفه يشير إلي: "عملية تميز الفرد لنفسه عن غيره".[3] وتعنى كلمة هوية Identity حقيقة الشئ التي تشمل على صفاته الجوهرية وتميزه عن غيره ويتميز كل مجتمع بشخصية ثقافية تتمثل فى مجموع الاساليب التي يمارس بها انسانيته وتشمل العادات والمعتقدات والفلسفة والتراث والانتاج الفنى الفكرى وفيها يجد الفرد وسائله المفضلة للتعبير عن ذاته.[4]

فالهوية هي كل ما يشخص الذات ويميزها ،فالهوية في الأساس تعني التفرد، والهويه هي السمة الجوهرية العامة لثقافة من الثقافات ،والهوية ليست منظومة جاهزة ونهائية ،وانما

---

[1]- وجيه كوثراني، **هويات فائضة.. مواطنة منقوصة**، دار الطليعة بيروت لبنان، ط 1، 2004.

[2]- عبد الخالق بدري، **الجماعات الافتراضية ومسألة الهوية، الجزء الثاني**، مركز الدراسات والأبحاث والقيم ، المغرب الرابط :

http://www.alqiam.ma/Article.aspx?C=5654 تم استرجاعه بتاريخ: 2014/10/12.

[3]- أحمد زكي بدوي، **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية**، مكتبة لبنان، بيروت،ط2، 1993م، ص 206.

[4]- فؤاد البكري، **الهوية الثقافية العربية في ظل ثورة الاتصال والإعلام الجديد**، ورقة قدمت في أبحاث المؤتمر الدولي الإعلام الجديد تكنولوجيا جديدة لعالم جديد، جامعة البحرين، 2009، ص379.

هي مشروع مفتوح على المستقبل ،أي أنها مشروع متشابك مع الواقع والتاريخ، لذلك فان الوظيفة التلقائية للهوية هي حماية الذات الفردية والجماعية من عوامل التعرية والذوبان،[1]

إن هذا التصور لمفهوم الهوية يجعلنا تمييز بين تأويلين لمعنى الهوية:

* التصور الستاتيكي أو الماهوي للهوية ،الذي يرى آن الهوية،عبارة عن شيء اكتمل وانتهى وتحقق في الماضي، ففي فترة زمنية معينة ، آو نموذج اجتماعي معين وان الحاضر ما هو آلا محاولة أدراك هذا المثال وتحقيقه .

* التصور التاريخي والديناميكي للهوية الذي يرى أن الهوية شيء يتم اكتسابه و تعديله باستمرار، وليس أبدا ماهية ثابتة ، أي آن الهوية قابل للتحول والتطور ، وذلك لأن تاريخ أي شعب هو تاريخ متجدد ومليء بالأحداث والتجارب ، فأن الهوية الأصلية تتغير باستمرار ، وتكتسب سمات جديدة ، وتلفظ أخرى وهذا يعني أن الهوية شيء ديناميكي وهو سلسلة عمليات متتابعة كما أنها تتحول مع الزمن فهي ديناميكية، وهي ترتبط بالأثر الذي تتركه الحضارة عبر التاريخ ، ويمكن النظر الى الهوية في صورتها الديناميكية على أنها مجموعة من المقررات الجماعية آلتي يتبناها مجتمع ما ، في زمن محدد للتعبير عن
القيم الجوهرية (العقائدية) و الاجتماعية والجمالية والاقتصادية والتكنولوجية والتي تشكل في مجموعها صورة متكاملة تعبر عن ثقافة هذا المجتمع[2]

2- الهوية فلسفيا:

الهوية هي الذاتية و الخصوصية و هي جماع القيم و المثل و المبادئ التي تشكل الأساس الراسخ للشخصية الفردية أو الجماعية، و هوية الفرد عقيدته و لغته و ثقافته و حضارته وتاريخه، الهوية هي ما به يكون الشيء هو مما يحقق ذاته و يحدد تميزه.[3]

---

[1]- بن عيسى محمد المهدي، كانون جمال، **مستخدمي الانترنت في المجتمع الجزائري بين الهوية المستقلة والهوية المغتربة**، ورقة قدمت في الملتقى الدولي الأول حول الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ورقلة ،ص454،453.

[2]- عبد الفتاح حافظ وآخرون **علم النفس الاجتماعي** ، مكتبة زهراء الشرق القاهرة ، 2000 ص128

[3]- محمد عابد الجابري، **العولمة ومسألة الهوية بين البحث العلمي والخطاب الأيديولوجي**، مجلة فكر ونقد، عدد 22 ، ص23.

3- الهوية ثقافيا:

أن الهُوية الثقافية كيان يصير ويتطور، وليس معطى جاهز ونهائي، فهي تصير وتتطور آما في اتجاه الانكماش، آو في اتجاه الانتشار، وهي تغتني بتجارب أهلها ومعاناتهم ،انتصاراتهم وتطلعاتهم ،وأيضا باحتكاكها سلب وإيجاب مع الهويات الثقافية الأخرى، التي تدخل معها في تغاير من نوع ما . وعلى العموم تتحرك الهُوية الثقافية في ثلاث دوائر متداخلة ذات مركز واحد، وكما يأتي:

* الفرد داخل الجماعة الواحدة، هو عبارة عن هوية متميزة ومستقلة عبارة عن أنا لها آخر داخل الجماعة نفسها، أنا تضع نفسها في مركز الدائرة عندما تكون في مواجهة مع هذا النوع من الآخر القبيلة ،المذهب والطائفة أو الديانة ،التنظيم السياسي أو الجماعي.

* الجماعات داخل الأمة، هم كالأفراد داخل الجماعة، لكل منها ما يميزها داخل الهُوية الثقافية المشتركة، لكل منها أنا خاصة بها و آخر من خلال وعبرة على نفسها بوصفها ليست إياه.

* الشيء نفسه يقال بالنسبة إلى الأمة الواحدة إزاء الأمم الأخرى غير أنها أكثر تجريدا، وأوسع نطاقا، وأكثر قابلية على التعدد والتنوع والاختلاف.

4- الهوية ذات الأبعاد المتعددة:

طالما أن الهُوية تنتج عن بناء اجتماعي فإنها تكتسب طابع التعقيد الاجتماعي، وإذا أردنا اختزال الهُوية الثقافية إلى تعريف بسيط "صافي" فهذا يعني أننا لا نأبه بتنوع المجموعة الاجتماعية، ليس هناك جماعة أو فرد لا يسبق له أن يكون حبيس هوية ذات بعد واحد، الهُوية تتميز بطابعها المتقلب الذي يمكن أن يخضع لتأويلات واستخدامات مختلفة.

واللجوء إلى مفهوم "الهُوية المزدوجة" يندرج في إطار جهود التصنيف المذكورة سابقاً. والمفهوم "السلبي" للهوية يسمح بالتقليل من شأن بعض الجماعات من الناحية الاجتماعية، لا سيما السكان المنحدرين من الهجرة. وعلى العكس، فإن من يريد رد الاعتبار لهذه المجموعات تراه يبني، خطأ، خطاباً يشيد بالهُوية المزدوجة باعتبارها تغني الهُوية. لكن مهما كان التصور، إيجابياً أم سلبياً، لـ"الهُوية المزدوجة" المفترضة فإن مصدر الهويتين ناتج عن الخطأ التحليلي نفسه.

الواقع أن الفرد يدمج في ذاته، بشكل تركيبي، تعددية المرجعيات الخاصة بالهُوية المرتبطة بتاريخ هذا الفرد. الهُوية الثقافية تحيل إلى مجموعات ثقافية مرجعية لا تتوافق حدودها. والفرد يعي أنه يحمل هوية ذات هندسة متغيرة تبعاً لأبعاد المجموعة التي يرجع إليها في هذه الحالة العلائقية أو تلك، هذه الهُوية ذات الأبعاد المتعددة، لا تسبب أية مشكلة، وهي مقبولة.

المشكلة بالنسبة للبعض هي "الهُوية المزدوجة" التي يقع قطبا مرجعيتها على المستوى نفسه. ومع هذا فلا نرى سبباً في أن القدرة على دمج عدة مرجعيات خاصة بالهُوية في هوية واحدة يمنعها من العمل في هذه الحالة، إلا إذا قامت سلطة مهيمنة بمنعها باسم الهُوية الخاصة.

حتى في حال دمج مرجعيتين للهوية لهما المستوى نفسه في هوية واحدة فإن المستويين نادراً ما يكونا متساويين لأنهما يحيلان إلى مستويات تكاد لا تكون دائماً متساوية في إطار حالة معينة.

5- تشكل الهوية عند مارشا (Marcia. J .E):

وفي محاولة لتقديم صورة أوضح وأكثر إجرائية لتشكل الهوية، قام جيمس "**مارشا**" بالعديد من الدراسات انتهت إلى تحديد أبعاد الهوية في مقاربته حول الأنا والهوية وقد حدد الأنواع الأربعة التالية :

أ- تحقيق هوية الأنا:

تحقيقها نتيجة لخبرة الفرد للأزمة من جانب ممثلة في مروره بفترة مؤقتة من الاستكشاف أو التعليق المتضمن اختبار القيم والمعتقدات والأهداف والأدوار المتاحة وانتقاء ما كان ذا معنى أو قيمة شخصية واجتماعية منها، ثم التزامه الحقيقي بما تم اختياره من جانب آخر.

ب- تعليق هوية الأنا:

يفشل المراهق في رتبة التعليق من اكتشاف هويته، إذ تستمر خبرته للأزمة ممثلة في استمرار محاولته لاختبار وتجريب الخيارات المتاحة دون الوصول إلى قرار نهائي ودون إبداء التزام حقيقي بخيارات محددة منها، مما يدفعه إلى تغييرها من وقت إلى آخر في محاولة منه للوصول إلى ما يناسبه، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر تغيير مجال الدراسة أو المهنة أو الهوايات أو الأصدقاء. وهذا ما يحدث كثيرا في مواقع التواصل الاجتماعي أين يقدم العديد من البدائل للهوية في أوقات متعددة من خلال خيارات يضعها الشخص دون التزام بواحدة منها أو جعلها ملمحا عاما للتواصل مع الآخرين.

ج- انغلاق هوية الأنا:

يرتبط انغلاق هوية الأنا بغياب الأزمة متمثلة في تجنب الفرد لأي محاولة ذاتية للكشف عن معتقدات وأهداف وأدوار اجتماعية ذات معنى أو قيمة في الحياة مكتفيا بالالتزام والرضا بما يحدد له من قبل قوى خارجية كالأسرة والمجتمع. وهذا أذا كان الفرد خاضعا لمبادئ معينة أو سلطات أكثر منه سواء من حيث ممارسة الرقابة أو بالحرية ، وفي هذا الدرجة يكون الفرد على درجة من الوعي والنضج الفكري الذي يحدد فيه ملامحه الثابتة في التواصل مع الآخرين

د- تشتت هوية الأنا:

يرتبط تشتت هوية الأنا بغياب أزمة الهوية متمثلا في عدم إحساس الفرد بالحاجة إلى تكوين فلسفة أو أهداف أو أدوار محددة في الحياة من جانب، وغياب الالتزام بما شاءت الصدف أن يمارس من أدوار من جانب آخر. ويحدث ذلك كنتيجة لتلافي الفرد في هذا النمط للبحث والاختبار كوسيلة للاختيار المناسب، مفضلا التوافق مع المشكلات أو حلها عن طريق

تأجيل وتعطيل الاختيار بين أي من الخيارات المتاحة[1]. وهنا يكمن الصراع الهوياتي بين الأنماط أو الأنواع التي يقدمها في كل مرة.

خامسا- الهوية الافتراضية:

انتشر استخدام مواقع التواصل الاجتماعي عبر الإنترنت في العالم، بوتيرة فاقت كثيرا من التوقعات، وأصبح «فيس بوك» و«تويتر»، ضمن السلوك اليومي لكثير من مستخدمي الإنترنت، سواء عبر أجهزة الكمبيوتر أو الأجهزة الدفترية، وكذلك عبر الهواتف المحمولة. ونتيجة لقوة انتشار وسائل الإعلام الإلكتروني ـ الذي يصفه البعض بأنه «إعلام بديل»، الذي أصبح فضاء يومياً يضج بالمعلومات والآراء والصور والتفاصيل اليومية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية ـــ تنبهت كثير من الدول إلى هذا التحول، وعززت صفحات لها عبر مواقع التواصل، لتوثيق التواصل بين الناس.

ومن المسائل المركزية التي تناولها الباحثون بالدراسة علاقة "مواقع الشبكات الاجتماعية بالهوية الذاتية للفرد ، فمواقع التواصل الاجتماعي تمثل مجالا يستعرض فيه الناس أنفسهم وذواتهم في فضائهم الصغير (الجداريات).

وقد تناول الباحثون هذه الأخيرة بالدراسة والتحليل من خلال جملة المؤشرات التي يختار المستخدم إبرازها أو إخفاءها والتي تكوّن ملمحه (كالجنس والعمر والدين والمدينة التي يعيش فيها...الخ) ويعتمد المستخدم استراتيجيات مختلفة للظهور إلى الآخرين كاختيار صورة دون أخرى لملمحه وما يقبل أن يظهره عن حياته الخاصة وما يخفيه عن الآخرين . من هنا فإن مواقع التواصل الاجتماعي تتيح معرفة استراتيجيات بناء الهوية الذاتية من خلال دراسة التفاعل بين ما يسمى الهوية الواقعية والهوية الافتراضية[2].

[1] حمودة سليمة، **أثر استخدام شبكات التواصل الاجتماعي على الهوية النفسية لدى طلبة المرحلة الثانوية**، دراسة ميدانية على عينة من طلبة ثانوية سعدان بمدينة بسكرة، مداخلة في الملتقى الوطني ، ص329.

[2] - الصادق الحمامي، **كيف نفكر في مواقع الشبكات الاجتماعية**، ورقة قدمت لندوة الشبكات الاجتماعية الافتراضية والشباب الإماراتي الواقع والتحديات، جامعة الشارقة، 2012، ص3.

وأضافت إليزابيث ليندر أن الفيس بوك بات من المواقع التي يستخدمها الناس يومياً، وهم يكتبون ويضعون كل المعلومات التي تهمهم، إضافة إلى صورهم الشخصية وفي هذا السياق قالت الأخصائية في السياسات والشؤون الحكومية في «فيس بوك» إليزابيث ليندر، أن موقع التواصل «فيس بوك» «عالم واقعي وهوية حقيقية»، خصوصا أنه يبين نمط تفكير الشخص، ومستواه الثقافي وأسلوب حياته، والكثير من التفاصيل التي تعد واقعية، وليست خيالية أو افتراضية.[1]

فالهوية الافتراضية هي وليدة استخدام مواقع التواصل الاجتماعي أو بالأحرى انضمام الفرد إلى المجتمع الافتراضي المتواجد في الفضاء السيبري والذي يفرض عليه أن يقدم بيانات هوية يتواصل بها مع الآخرين ويتفاعل بها مع مختلف الجنسيات والأعراق والديانات.

سادسا- أنماط الهوية الافتراضية... بين الذات و الانفصام:

أدى اختلاف الأغراض والأهداف التي جعلت الأفراد يؤسسون لحسابات على الشبكة الاجتماعية إلى اختلاف الهويات التي يقدمها كل مستخدم للتعبير عن شخصيته، حتى وإن كانت هذه الأخيرة مجرد معطيات يتفاعل بها الفرد مع الآخرين . وبالتالي يمكن تقسيم هذه الهويات وفقا لمرتادي شبكات التواصل الاجتماعي إلى النماذج التالية:

* **النموذج الأول: المتخفي:** ويتمثل في مجموعة المستخدمين الذين يسجلون أنفسهم ولا يفهمون مبدأ التواصل والتشابك, فيخفون صورتهم ولا يقدمون أية معلومات شخصية عنهم للأصدقاء الذين يدعونهم, وهم الذين قالت عنهم بالكاتبة الألمانية (إيلينا زنغر) والكاتب (خالد الكوطيط) :" هؤلاء لا يفصحون عن هويتهم ويكتفون بالملاحظة وبالاطلاع على الصفحات الشخصية للمستخدمين الآخرين"[2]

* **النموذج الثاني: ويتمثل في رفقاء الدراسة** وتكون عادة الهويات التي يتعامل بها أصحاب هذا النموذج الهوية الحقيقة ، فيما يختار البعض منهم الهوية الافتراضية وهنا تكمن الصعوبة في

[1]- ديانا أيوب، **شبكات التواصل الاجتماعي تدمج الهوية الفردية والافتراضية**، جريدة الأمارات اليوم، 2012.
[2]- محمد المنصور، مرجع سابق، ص04.

إيجاد بعضهم ، وقد تتم الاستعانة ببعض البيانات التي يتيحها المستخدم على الصفحة الرئيسية الخاصة به كالبلد والمؤسسة التي درس بها من أجل التعرف عليه.

* **النموذج الثالث: ويتمثل في الأبوين** لاشك أن الكثير من الآباء والأمهات لا يعرفون عن الفيس بوك ما يكفي, إضافة إلى أنهم لا يرغبون في خوض هذه التجربة الجديدة, لكن حرصهم على أولادهم يدفعهم في الكثير من الأحيان إلى التطفل على اهتمامات الأبناء والبنات بهذا التواصل الاجتماعي, والدخول إلى صفحاتهم وطلب صداقة أبنائهم, الذين يقومون بتشكيل مجاميع من الأصدقاء تحد من تدخلات الآباء في شؤونهم, وهنا يكون للآباء الخيار إما الظهور بالهوية الحقيقية لهم وفي هذه الحالة يكون الأبناء متخوفين من هذه الصداقة لتفادي الإحراج الذين يقعون فيه أو في الحالة الثانية ويظهر الآباء بالهوية الافتراضية أو المستعارة ويمكن لهم من خلالها الاطلاع على نشاطات أبنائهم الفيسبوكية.

* **النموذج الرابع: الأصدقاء الحقيقيون** هم أصدقاء بصرف النظر إن أضيفوا إلى العالم الافتراضي أو لا, فالصديق الحقيقي هو الصديق الذي نعرفه منذ وقت طويل. في هذه الحالة لا يحتاج المرء الفيس بوك للحفاظ على الصداقة. لكن ضم هؤلاء الأصدقاء إلى لائحة الأصدقاء على الفيس بوك هو أمر طبيعي، على الرغم من قلة أو عدم أهمية ما يمكن إضافته هناك حول هؤلاء الأصدقاء.[1]

وما يمكن استخلاصه من خلال عرض النماذج المذكورة سابقا أن الهوية التي يتواصل بها الفرد مع بقية الأفراد تكون مبنية على أساس قناعة الفرد فمتى اختار الظهور بالهوية الحقيقية يمكن له فقط التصريح بكل بياناته الشخصية التي تتطابق حقيقة مع الواقع وهذا يتيح له التواصل بأريحية دون الحاجة إلى التحفظ أو الخوف من الغير، وإن هو اختار أن يستخدم بيانات أخرى لا تتطابق مع بياناته الحقيقية فهو هنا بصدد تكوين هوية افتراضية تتيح له التواصل وتحقيق ما يريد الوصول إليه من خلالها.

[1]- ساعد ساعد، **التفاعل الثقافي والاجتماعي في شبكات التواصل**، ورقة قدمت بالمركز الجامعي عين تموشنت، الجزائر.

سابعا- الخصائص النفسية للشخصية والهوية الافتراضية:

من الصعب تحديد الخصائص التي تتمتع بها الشخصيات التي تختار الهوية الافتراضية للتواصل فيما بينها، وتكمن الصعوبة في أن الأمر يبقى وهميا افتراضي وخاضعا للحالة النفسية التي يعيشها الفرد في المجتمع الافتراضي ، وبالتالي يمكن وضع مجموعة من الخصائص النفسية وهي كالتالي:

- الشخص الافتراضي يولد بهوية يختارها ويسعى بمحض إرادته بخلاف الشخص الطبيعي الذي لا خيار له في متى وأين يولد ولا في انتقاء جنسه أو اسمه الذي سيلازمه مدى الحياة.

- الهوية الافتراضية تجعل الشخص فيختار بيئته بل يمكنه صنع الوسط الذي يناسب مزاجه واهتماماته، حيث لا وجود للضغوط الأسرية المعهودة، ولا للأوامر والنواهي ولا الإكراه الذي بصورة ما على تكوين الشخصية حسب ما يراه علماء التحليل النفسي؛ فيقولون مثلا "إن الكذب يتولد من الخوف" وليس هناك ما يخافه الشخص الافتراضي غير انقطاع الكهرباء أو عطل الحاسوب. وليس هناك دافعا للكذب. لِمَ يكذب الشخص الافتراضي إذن؟ الجواب ليس بعيدا، فهناك عوامل تجعل الكذب يتسرب إلى المجتمع الافتراضي، منها أن الفرد يطمع في تحقيق أربٍ ما في واقعه عن طريق اتصاله بسكان لعالم الجديد، محاولا استغلال جوّ الثقة المتبادلة بين أفراد المجموعة الافتراضية التي ينتمي إليها[1].

- الهوية الافتراضية توجب على الشخصية الافتراضية التعامل مع برامج المحادثة الحاسوبية وتطبيقات الشبكة العنكبوتية ومواكبة تطوراتها أولا بأول هذا ما يفرض على الفرد إتقان مهارة تقديم نفسه للأفراد الذين يتفاعلون معه ، لأنه لا يمكنهم إدراكه إلا من خلال البيانات التي يقوم بتقديمها لهم على أنها تمثل هويته، وفي الواقع قد تعكس صورته الحقيقة وغالبا ما تكون مغايرة لها .ففي تجربة قام بها باحثون في كندا، أجاب 5682 شابا على استبيان لدراسة

[1]- **تقنية المعلومات وعلم النفس الافتراضي**، محاضرة القيت بتاريخ:201/08/27، ملتقى رابطة الواحة الثقافية، الرابط:

http://www.rabitat-alwaha.net/moltaqa/showthread.php?t=43571

تم استرجاعه بتاريخ: 2014/08/23.

عنوانها "الشبان الكنديون في عالم متصل: لم يذكر 50% عمرهم الحقيقي من بينهم 25% ادّعوا أن لهم مظهرا أو شخصية مختلفة .وادّعى 20% أنهم من جنس مختلف.

- الهوية الافتراضية تمنح الشخص الإرادة القوية في التعبير عن ذاته، فكل من يتصفح موقعا يبحث فيه عن شيء يشبع رغبة لديه سواء كانت هذه الرغبة في الاستطلاع أو اقتناء شيء ما، أو كسب صداقة، أو نشر خاطرة كتبها، أو الحصول على معرفة. وهو في عملية البحث هذه يحمل صورة عن نفسه يظهرها للآخر المفترض وجوده على الطرف الثاني للخط الواصل بين الباحث والموضوع المبحوث عنه.

ثامنا- أثر الهوية الافتراضية على الذات الاجتماعية للفرد:

إن الشخص الافتراضي الذي يقرأ نصا كتبه "مخاطبه" المتصل به يمدحه أو يذمه، فيتفاعل مع ما قرأ؛ يغضب أو يطرب لما ورد فيه من مضمون وقد يرد على مخاطبه بما يراه يناسب المقام أو يشعر بأنه يتلقى إهانة فيكيل لمخاطبه الشتائم أو يبالغ في مجاملته. كل هذه احتمالات يهمنا منها أن نفهم كيف يتكون لدى الشخص –المتلقي – ما نسميه ردة الفعل.

بل وأصبحت ردة الفعل واضحة وجلية فكل واحد منا وهو يجلس أمام شاشة الحاسوب يتلقى رسائل عبر مواقع شبكات التواصل الاجتماعي، هذه الرسائل تكون مختلفة في مضامينها وفي مصدرها إلا أن المشترك بينها أنها تحدث من الأثر في نفسية المتلقي ما يظهر على ملامح وجهه، فتجده أحيانا يضحك وفي أخرى يتبسم وتارة يقطب حاجبيه وأحيانا يعبس وجهه...الخ كل هذه التعابير الإيحائية تدل على الأثر الذي أحدثته فيه الرسالة التي بنيت على هوية وعلاقات افتراضية.

تقول الدكتورة سلوى العمد أستاذة علم الاجتماع و الانثروبولوجيا بجامعة فيلادفيا بالأردن "أرى هذا النوع من العلاقات بالإجمال بالنسبة لي أنا ... أراه غريبا قليلا لأننا لا نستطيع أن نتأكد من هو المتحدث الآخر إلينا فكيف يمكن للمرء أن يلتقي بأناس لا يعرفهم ولا تلتقي العيون ويتبادلون النظرات في حين لديك أصدقاء وإخوة في نفس المنزل قد لا تتعاطى معهم بهذه الطريقة ."وتضيف: "هناك نوع جديد من علاقات لا أرى أنه علاقة في الواقع وإنما هو نوع من التسلية وعلاقات وهمية لا أساس لها في الواقع إلا إذا كانت هناك استثناءات لا أدرى

عنها". وما تشير إليه الدكتورة هو ملمح آخر لما يعتبره البعض مآخذ تكتنف مسعى الباحثين عن علاقات افتراضية عبر الانترنت. فالساعات الطويلة التي يمضيها هؤلاء تعمق لديهم شعور العزلة والانطواء عن محيطهم الاجتماعي الطبيعي، وتفصلهم عن صداقات واقعية قد تكون قريبة ومتاحة.[1]

خاتمة:

إن استخدام الهوية الافتراضية على مستوى الشبكات الاجتماعية يبدو واضحا وجليا من خلال البيانات التي توجد على صفحات الأفراد الخاصة، وقد كان لها انعكاساتها على حياة الفرد من خلال التقمص والانطواء والعزلة والحرية المطلقة في التعامل دون وجود حواجز تفرض عليه كما عززت من ذاته المثالية التي ينشدها في العالم الافتراضي وتحقق له اللذة التي ينشدها عبر صفحات التواصل المختلفة. من جهة أخرى فإن الذات الاجتماعية تلاشت ملامحها تدريجيا وأصبح من الصعب أن نحكم على الفرد أو عن هويته الحقيقية لأنها غدت مزيجا من هويات افتراضية.

[1] شبكة النبأ المعلوماتية، **الانترنت يطمس الخط الفاصل بين الأخلاق والعالم الافتراضي**، الرابط:
تم استرجاعه بتاريخ: 2014/02/14. http://www.annabaa.org/nbanews

*** قائمة المراجع:**

أولا- الكتب:

1-عبد الفتاح حافظ وآخرون **علم النفس الاجتماعي** ، مكتبة زهراء الشرق القاهرة ، 2000.

2- محمد العربي ولد خليفة، **المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2003.

3-وجيه كوثراني، **هويات فائضة..مواطنة منقوصة**، دار الطليعة بيروت لبنان، ط 1، 2004.

ثانيا- المعاجم والقواميس:

1- أحمد زكي بدوي، **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية**، مكتبة لبنان، بيروت،ط2، 1993م

ثالثا- الملتقيات:

1- الصادق الحمامي، **كيف نفكر في مواقع الشبكات الاجتماعية**، ورقة قدمت لندوة الشبكات الاجتماعية الافتراضية والشباب الإماراتي الواقع والتحديات، جامعة الشارقة، 2012.

2- بن عيسى محمد المهدي، كانون جمال، **مستخدمي الانترنت في المجتمع الجزائري بين الهوية المستقلة والهوية المغتربة**، ورقة قدمت في الملتقى الدولي الأول حول الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ورقلة.

3- حمودة سليمة :**أثر استخدام شبكات التواصل الاجتماعي على الهوية النفسية لدى طلبة المرحلة الثانوية** دراسة ميدانية على عينة من طلبة ثانوية سعدان بمدينة بسكرة، مداخلة في الملتقى الوطني.

4- ساعد ساعد، **التفاعل الثقافي والاجتماعي في شبكات التواصل**، ورقة قدمت بالمركز الجامعي عين تموشنت، الجزائر.

5- فؤادة البكري، **الهوية الثقافية العربية في ظل ثورة الاتصال والإعلام الجديد**، ورقة قدمت في أبحاث المؤتمر الدولي الإعلام الجديد تكنولوجيا جديدة لعالم جديد، جامعة البحرين، 2009.

6- وليد رشاد زكي، **نظرية الشبكات الاجتماعية من الإيديولوجيا إلى الميثودولوجيا**، المركز العربي لأبحاث الفضاء الالكتروني، مارس 2012.

ثالثا- المجلات:

1- راضي زاهر، **استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في العالم العربي** ، مجلة التربية، العدد 15، جامعة عمان الأهلية، عمان.

2-محمد عابد الجابري، **العولمة ومسألة الهوية بين البحث العلمي والخطاب الاديولوجي**، مجلة فكر ونقد، عدد 22.

رابعا- المواقع الالكترونية:

1- www.annabaa.org/nbanews.

2- www.alqiam.ma/Article.aspx?C=5654.

3- arabpsynet.com/Documents/DocAliSelfConceptPsy.pdf.

4- www.rabitat-alwaha.net/moltaqa/showthread.php?t=43571.